"دور العمل الإيجابى فى بناء عالم أفضل – مقارنة رسائل النور"
العمل الإيجابى من حيث المصطلح والجانب النظرى

الدكتور/طارق عبدالوهاب أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة العريش – كلية الأداب /كلية التربية قسم التاريخ
mail: ETAREK19641@HOTMAIL.COM

يعرف البعض الإيجابية بأنها: "اندفاع الإنسان الذاتي الناشئ عن استقرار الإيمان في قلبه، لتكييف الواقع الذي من حوله وتغييره وتبديله إن لزم الأمر؛ لكي يطابق الواقع الإيجابي الذي في حسِّه"، أو قُل: "هو الحافز الذي يدفع بطاقة الإنسان لأداء عمل مُعَيَّن؛ للوصول إلى غاية مُحَدَّدة، محتملاً كافة الصعاب لتحقيق الهدف"(١).

جاء في قصص الصين التراثي أن حاكماً وَضَعَ للناس صخرة عظيمة في أحد الطُّرُق وترك من يرصد له تصرفات الناس، فمر أول رجل وكان تاجراً كبيراً في البلدة، فنظر إلى الصخرة باشمئزاز منتقداً من وضعها دون أن يعرف أنه الحاكم، **ودار حول الصخرة رافعاً صوته قائلاً:** "سوف أذهب لأشكو هذا الأمر، سوف نعاقب مَنْ وضعها، ثم مرَّ شخص آخر وكان يعمل في البناء، فقام بما فعله التاجر لكن صوته كان أقل علوًّا؛ لأنه أقل شأناً في البلاد، ثم مَرَّ ثلاثة أصدقاء معاً من الشباب الذين مازالوا يبحثون عن هويتهم في الحياة، وقفوا إلى جانب الصخرة، وسخروا من وضع بلادهم، ووصفوا من وضعها بالجاهل والأحمق والفوضوي، ثم انصرفوا إلى بيوتهم، ومَرَّ يومان حتى جاء فلاح من الطبقة الفقيرة ورآها فلم يتكلم وبادر إليها مُشَمِّرًا عن ساعديه محاولاً دفعها، طالباً المساعدة ممن يمر فتشجَّع آخرون وساعدوه فدفعوا الصخرة حتى أبعدوها عن الطريق، وبعد أن أزاح الصخرة وَجَدَ صندوقاً حُفِر له مساحة تحت الأرض، في هذا الصندوق كانت هناك ورقة فيها قِطَع من ذهب

---

(١) **الشيخ عبد الخالق حسن الشريف، الشباب في مرآة الإسلام.**

ورسالة مكتوب فيها: "من الحاكم إلى مَنْ يزيل هذه الصخرة، هذه مكافأة للإنسان الإيجابي المبادر لحل المشكلة بدلاً من الشكوى منها".

إن الإيجابية أمست عملة نادرة، لكنها تاج على رؤوس أولئك الذين يربطون الأرض بالسماء، ويصلون الخلق بالخالق، ويعرِّفون العباد برب العباد، ويبثون النور الإلهي المتمثل في الفطرة السليمة؛ لتعود الرُّوح من جديد في كيان هذه الأُمَّة، التي أصبحت صريعة الأهواء والشهوات والملذات، كالذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ.

فالسلبية يستحيل أن تكون من خصال الصالحين، والبلادة لا يمكن أن تكون من صفات المصلحين بعدما قال الله تعالى له: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[2].

من هنا نتبين أن العمل الإيجابي هو نهج المصلحين، فعلى هذا الطريق يلتقي ويتشارك المجددون كافة، وقد تلقى هؤلاء جميعاً الموعظة نفسها من رسول الله (ﷺ)، وأبدوا حساسية كبيرة للسير في هذا الطريق حسب شروط عصرهم، فالإمام الغزالي، والإمام الربَّاني، والشيخ عبد القادر الجيلاني، ومولانا جلال الدين الرومي وأمثالهم من العظام جميعاً قد سلكوا الطريق نفسها، وكانت غايتهم المشتركة جميعاً جذب الناس نحو حدود مرضاة رب العالمين، وأن يكونوا وسيلة لسعادتهم الأبدية. وللأستاذ بديع الزمان النورسي مكانة خاصة بين هؤلاء العظام الذين أصبحوا مظهراً للحديث النبوي "العلماء ورثة الأنبياء" بكل معنى الكلمة وميزته هذه تنبع من هول عصره، ونكبة زمانه.

وعلى هذا فقد كانت الإيجابية في الحركة قاعدة إرشادية من قواعد رسائل النور؛ فها هو الأستاذ النورسي يستهل آخر رسالة له يحمل تعتبر خلاصة لقواعد الإرشاد والتبليغ والإصلاح التي حاول تطبيقها طوال حياته، كالآتي:

"إن واجبنا القيام بأعمال إيجابية بنَّاءة وليست تخريبية، بل القيام بوظيفة الإيمان ابتغاء مرضاة الله وحده لا غيره ومن غير التدخل في أمور موكوله إليه تعالى، فنحن مكلفون أن نصمد صابرين على كل المضايقات لأجل إحلال النظام واستتباب الأمن في ربوع البلاد"[3].

---

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) الحديد، ٢١.

(٣) بديع الزمان النورسي، الملاحق: أمير داع، ص٢٣٩.

ونحن الآن في عصر تفاقمت فيه المشاكل المادية والمعنوية، نحو: الجوع والفقر والظلم الاجتماعي، والحرب والهجرة والفوضى والإرهاب والعنف بجانب ظواهر سلبية كالتلوث البيئي والاحتباس الحراري وغيرها. وللأسف هي في تزايد وتفاقم مستمر يوماً بعد يومٍ، وبالرغم من بذل الجهود الواسعة؛ فلم يتوصل أحدٌ إلى حلول دائمة لها!.

ومن هنا كانت تلك التساؤلات:

كيف ستحقق سعادة البرية الدنيوية والأخروية؟ وكيف يمكن حل هذه المشاكل وأمثالها أو على الأقل تخفيفها وهل يمكن – مادياً ومعنوياً – القيام بالإصلاح من دون هدم، والبناء من دون تدمير؟ وهل يمكن التوصل إلى حل جذري لهذه المشاكل؟ إذ أننا أحوج ما نكون من أي وقت مضى إلى إجابات لهذه الأسئلة وما شابهها.

إن حياة بديع الزمان سعيد النورسي ومؤلفاته "كليات رسائل النور" مصدر مهم لمحاولة البحث عن إجابات شافية لهذه الأسئلة والمشاكل؛ وذلك لأن حل المشاكل فردية كانت أو اجتماعية أو عالمية مرهون بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة، وبديع الزمان سعيد النورسي قد وفى حق سلوك الإنسان في نظرته للكون والحياة بعبارة أصيلة هي: "العمل الإيجابي" فالعمل الإيجابي نهج مهم للحياة والنظر إلى الكون؛ لذا ينبغي أن يُطرح للمناقشة الجادة بأساساته المستندة على الوحي، وبتطبيقاته وممارساته في الحياة لإيجاد حلول دائمة للمشكلات التي تواجهنا.

ولأجل سعادة المسلمين خاصة والإنسانية عامة، الدنيوية والأخروية؛ فإن نهج النظر في رسائل النور جدير بالمناقشة والذي نرجو أن يتحقق في المؤتمر العالمي الحادي عشر لبديع الزمان سعيد النورسي: "دور العمل الإيجابي في بناء عالم أفضل – مقارنة رسائل النور".

ويشرفنا أن نتقدم في هذا المؤتمر ببحث نتحدث فيه عن العمل الإيجابي وتعريفه في رسائل النور وشمول معناه.

وسيكون بحثنا مُختار من المحور الأول من محاور المؤتمر وهو: "العمل الإيجابي من حيث المصطلح والجانب النظري".

المقدمة:

يعيش إنسان اليوم في عصر تفاقمت فيه المشاكل المادية والمعنوية؛ نحو الجوع والفقر والظلم الاجتماعي، والحرب والهجرة والفوضى والإرهاب والعنف، بجانب ظواهر سلبية

كالتلوث البيئي والاحتباس الحراري وغيرها.

وللأسف هي في تزايد وتفاقم مستمر يوما بعد يوم، وبالرغم من بذل الجهود الواسعة؛ فلم يتوصل أحد إلى حلول دائمة لها! ومن هنا كانت تلك التساؤلات، فكيف إذن ستتحقق سعادة البشرية الدنيوية والأخروية؟ وكيف يمكن حل هذه المشاكل وأمثالها أو على الأقل تخفيفها؟ وهل يمكن – مادياً ومعنوياً – القيام بالإصلاح من دون هدم، والبناء من دون تدمير؟! وهل يمكن التوصل إلى حل جذري لهذه المشاكل؟! إذ أننا أحوج ما نكون من أي وقت مضى إلى إجابات لهذه الأسئلة وما شابهها.

خطة البحث:

"تعريف رسائل النور للعمل الإيجابي وشمول معناه"

وسينقسم هذا البحث إلى: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة

أما المقدمة: فستتضمن تعريفاً مختصراً برسائل النور، ومعنى الإيجابية وقيمتها في حياتنا وخطة البحث الإجمالية والتفصيلية.

الفصل الأول: وفيه سنعرض لنظرة النورسي للعمل الإيجابي وشمول معناه **أهم القواعد التي سار عليها في رسائله،**

الفصل الثاني: فسنعرض فيه لبعض الممارسات العملية للعمل الإيجابي وأثر العمل الإيجابي في حياتنا،

الفصل الثالث: فسنتناول فيه بعض تطبيقات للعمل الإيجابي في التاريخ الإسلامي والسيرة، ثم نأتي إلى الخاتمة.. مسك الختام لنجمع فيها حصاد ما توصلنا إليه من خلاصة للبحث والنتائج.

ومن الجدير بالذكر؛ قبل الشروع في الحديث عن العمل الإيجابي وقبل الولوج لصميم بحثنا، أن نتعرف على ماهية "كليات رسائل النور".. إن كليات رسائل النور هي مجموع ما كتبه الإمام الجليل سعيد النورسي – رحمه الله عليه – وينقسم إلى تسعة مجلدات، هم:

الكلمات – المكتوبات – اللمعات – الشعاعات – إشارات الإعجاز – المثنوي العربي النوري – الملاحق – صيقل الإسلام – وأخيرا السيرة الذاتية للإمام النورسي.

الفصل الأول
نظرة النورسي للعمل الإيجابي وشمول معناه
وأهم القواعد التي سار عليها في رسائله

لاحظ الإمام سعيد النورسي، وهو الذي عاصر أخطر فترة انتقالية في حياة المسلمين وهي نهاية القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر، أن المجتمع الإسلامي ينحدر في نظاهر حياته كلها انحداراً سريعاً، واكتشف أن غزوا فكرياً منظماً يشن على العقيدة الإسلامية ابتداء من الدوائر الأجنبية إلى صحيفة الاتحاد والترقي إلى أجهزة إعلام الانقلابات اللادينية، وخاصة بعدما صرح وزير المستعمرات البريطاني – غلادستون – في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلاً: "مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم؛ لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به".

ولقد تأكد للنورسي أن الإسلام أصبح في خطر أكيد، وأنه لابد من تقوية الإيمان عند البعض وانقاذه عند البعض الآخر، أمام هذه الموجات العاتية من تزييف المنطق العقلي والحقيقة العلمية.

ولقد ساعدت دراسته العقلية الرصينة واطلاعه الواسع على تطور العلم الحديث في نجاح محاولة ذلك الإنقاذ؛ فبدأ بتأليف الرسائل والكتب في دحض شبهات القول وإثبات حقائق الإيمان بأسلوب علمي عصري قريب إلى روح العصر وفهم الناس جميعاً، وكان يتتبع الشبهات التي كان يثيرها الملاحدة وأعداء الأمة لإدخال الشك في عقول الجيل الحديث فيرد عليها ويخصص لها الرسائل المتنوعة دون ذكر الشبهة إلا نادراً[1].

هذا هو الاستاذ النورسي؟ الذي حمل على عاتقه معنى وظيفة التبليغ والإرشاد للوقوف حيال حركات الإفساد التي لم تشاهد لها مثيل في التاريخ ألقى دروساً قيمة لدفع الشبهات، ورفع إيمان المؤمنين من التقليد إلى مستوى التحقيق من ناحية، ومن ناحية أخرى بين للمسلمين كيفية السير في دروب وعيرة مليئة بالألغام والأشواك والدواهب من خلال ما سطر من الرسائل والملاحق.

فنجده يقول في غاية الشفافية والوضوح: "في زمن عجيب كزماننا، لابد من تطبيق

---

(١) "الكلمات"، بديع الزمان النورسي، مقدمة رسالة المعجزات القرآنية ص٤٢٠، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلي، استانبول ١٩٩٢.

خمسة أسس ثابتة حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام.. وهذه المبادئ هي:

١- الاحترام المتبادل.
٢- الشفقة والرحمة.
٣- الابتعاد عن الحرام.
٤- الحفاظ على الأمن.
٥- نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة.

والدليل على أن رسائل النور في نظرتها للحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً محافظة بذلك على حجر الأساس لأمن البلاد، هو أن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاماً أن تجمل أكثر من مائة ألف رجُل اعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس، ولعل محافظتي "اسبارطة وقسطمونى" خير شاهد وأبرز دليل على صدق ما نقول".

ولم يكن الاستاذ النورسي في حركته وتوجهه ومسلكه منتقماً متوعداً، بل أنه قد واجه بابتسامة مؤلمة كل ما لاقى من التعذيب والظلم، وليذله من المكائد الشيطانية لأجل دفعه إلى القيام بحركة سلبية، وقد استكمل مسيرته السامية لأجل إنقاذ إيمان البشرية جمعاء، حتى الذين ظلموه قابلهم بضبط النفس والأناة، دون أن يتزعزع ويتصرف بعداء وشحناء.

وحسبنا لكي نعرف منهج النورسي في دعوته ومسلكه، أن نقرأ تلك الكلمات التي استهل بها آخر رسالة له، حيث قال:

"إن من واجبنا القيام بأعمال إيجابية بناءة وليست تخريبية سلبية، بل القيام بوظيفة الإيمان: ابتغاء مرضاة الله وحده لا غير من دون التدخل في أمور موكوله إليه تعالى، فنحن مكلفون أن نصمد صابرين على كل المضايقات؛ لأجل إحلال النظام واستتباب الأمن في ربوع البلاد"[1].

تلك الجمل تعتبر خلاصة لقواعد الإرشاد والتبليغ التي حاول تطبيقها طوال حياته، فالحركة الإيجابية البناءة كانت أساس لهذا السبيل السامق وسيره المطرد.

لقد جعل النورسي من العمل الإيجابي البناء لمواجهة ما تعرض له من ظلم، فجعل منه

(١) "الملاحق" بديع الزمان سعيد النورسي، أمير داغ ١، ص٢٣٩.

طريقة للعمل على نشر دعوة الله الذي استوحاه من القرآن الكريم؛ ذلك العمل الذي يعني القيام بما أمر الله الإنسان به من الدعوة، أما تحقيق النتيجة فإنه من تدبير الله لا من شأن البشر، نابذا بذلك العمل السلبي الذي من شأنه استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح، وهو ما قد يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، وإلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو تخريب.

وقد صرح الأستاذ النورسي بذلك في أكثر من موضع، منها قوله:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله، إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا؛ وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"(١).

إن العمل الإيجابي البناء كما يحدده الأستاذ النورسي؛ يعني: الجهاد المعنوي؛ أي قيام الإنسان بما هو مطلوب منه من الدعوة التي يسميها الأستاذ الخدمة، وأن يدع تحقيق النتائج لرب العالمين الذي تكفل بها، وفي تسمية الدعوة بالخدمة إشارة إلى أن الأستاذ مستخدم لدى ربه، يعمل لنشر دينه، ونيل رضاه، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ومثله من سار على منهجه من طلاب النور، يقول الأستاذ:

"إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية؛ أي بما هو موكول إلى الله؛ بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وأننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا"(٢).

وعلى هذا الأساس؛ ولكي يزداد الأمر وضوحاً، نقدم لأنظارنا من خلال هذه الجمل أروع نماذج الحركة الإيجابية والسلبية.

- فالعمل بمقتضى مرضاه الله هو العمل الإيجابي، والعمل للنفع والرياء هو السلبي.
- والعمل للخدمة الإيمانية هو الإيجابي، والعمل للكفر والضلالة هو السلبي.
- والتوكل على الله هو الإيجابي، والمداخلة لتدبير الله وشئونه هو السلبي.

---

(١) سيرة ذاتية، النورسي، ص٤٦٩.

(٢) سيرة ذاتية، النورسي، ص٤٧٠.

- والمحافظة على أمن المجتمع هو الإيجابي، وتوليد الخلاف والمشادة والإخلال بالأمن والسلام هو السلبي.
- والصبر والشكر هو الإيجابي والتمرد والاستعجال هو السلبي.

من كل هذا يتبين أن "العمل الإيجابي البناء" قل شمل حياة النورسي كلها، وكان الدافع والمحرك الأول أمام كل ما لاقاه من ظلم واستبداد.

والعمل الإيجابي له جانبان:

- **الأول:** الإيمان والعمل.
- **الثاني:** الدعوة إلى الله لإنقاذ إيمان الآخرين.

ولن نستطيع أحد أن ينقذ الآخرين ما لم ينق نفسه، فمن عجز عن إصلاح نفسه فهو عن إصلاح غيره أعجز.

وقد نبه الأستاذ النورسي في درسه الأخير لطلابه إلى أمر يمنع الإنسان من الجهاد المعنوي، هو الوقوع تحت سطوة "الضرورات الموهومة"، التي توقعه في المحرمات وتشغله عن حقيقة وجوده وعن حقيقة الدنيا وعن الآخرة، وهذا من مساوئ المدنية الحديثة التي زيدت الحاجات الضرورية من الأربعة إلى العشرين، فجعلت الحاجات غير الضرورية بمثابة الحاجات الضرورية، بالإدمان والاعتياد والتقليد، فتجد من يفضل الدنيا على الآخرة رغم إيمانه بها لانهماكه بالأمور المعاشية والدنيوية ظنا منه أنها ضرورة[1].

وعند الوقوع تحت هذه الحاجات الموهومة يقع الإنسان في محاذير وممنوعات تحت دعوى "الضرورات تبيح المحظورات"، وهي دعوة لا حقيقة لها ولا تنقبل إلا مع الضرورات الحقيقية.

---

(١) سيرة ذاتية، النورسي، ص٤٧٠.

الفصل الثاني
بعض الممارسات العملية للعمل الإيجابي
وأثر العمل الإيجابي على حياتنا

١- الإخلاص:

من الأمور السياسية التي تحدث عنها الأستاذ وضرب فيها مثلاً في سيرته الطويلة ومحنته الممتدة، والإخلاص والتجرد من حظ النفس، ولذلك كان من وصاياه أن يقرأ طلاب النور رسالة الإخلاص مرة كل أسبوعين على حد أقصى ليظل الإخلاص نصب أعينهم، ولتظل المعركة بينهم وبين أنانية النفس قائمة حتى يصلوا مرحلة التجرد التام لله سبحانه وتعالى.

والإخلاص شرط لابد منه في العمل الإيجابي البناء الذي يحتاج إلى الصبر وذلك ما قدمه الأستاذ في سيرته قدوة حسنة لطلاب النور، وذلك من قوله:

"اخواني ربما أموت قريبا، فإن لهذا العصر مرضاً داهماً، هو الأنانية، وحب النفس، واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباهج وزخارف المدنية الجذابة وأمثالها من الأمراض المزمنة، وإن أول درس من دروس رسائل النور الذي تلقيته من القرآن الكريم، هو التخلي عن الأنانية وحب النفس، حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقلد بالإخلاص الحقيقي، ولله الحمد والمنة، فقد برز في الميدان كثيرون ممن بلغوا ذلك الإخلاص الأعظم الحقيقي، فهناك الكثيرون ممن ينصحون بأنانيتهم وبمنصبهم وجاههم في سبيل أصغر مسألة إيمانية"[١].

أيضا مما قاله الأستاذ عن الإخلاص:

"إن الإخلاص واسطة الخلاصة، ووسيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله؛ إذ يضيع الإخلاص ذلك لأن المعاند الذي ينحاز إلى رأيه وجماعته يرون التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها، فلا يوفق توفيقاً كاملاً إلى عمل خالص لوجه الله، ثم أنه لا يوفق أيضاً إلى العدالة، إذ يرجح الموالين لرأيه الموافقين له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم، وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر — الإخلاص والعدالة — بالخصام والعداء"[٢].

---

(١) سيرة ذاتية، النورسي، ص٤٧٤.

(٢) المكتوبات، النورسي، المكتوب الثاني والعشرون، ص٣٥٠.

٢- **وحدة المسلمين واتحادهم:**

من المسائل المهمة للحركة الإيجابية التي أكد عليها المجدد الكبير بكل حساسية هي تأمين وحدة واتحاد المسلمين العاملين في حقل الخدمة الإسلامية بمناهج مختلفة، وقد وقف حول هذه النقطة المهمة كثيراً وقد أكد عليها أيما تأكيد، وسعى ليمنع تحول اختلاف المشارب والمناهج الدعوية إلى العداء والتخاصم، وقد أشار الأستاذ النورسي إلى هذه المسألة في غير موضع من رسائله، ويحسن بنا أن نقف عند تفسير لحديث رسول الله (ﷺ) "اختلاف أمتي رحمة" حيث يقول:

لقد ورد في الحديث الشريف (اختلاف أمتي رحمة) والاختلاف يقتضي التفرق والتحزب والاعتداد بالرأي.. نقول إن الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلاف الإيجابي البناء المثبت.. ومعناه أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم بل يكون معين لإكمال النقص ورأب الصدع والاصلاح ما استطاع إليه سبيلا.

أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلاً في نظر الحديث حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء"[١].

وكمثال نود نقل النقاط الثلاثة الأوائل من الأمور البالغ عددها تسعة أمور كالآتي:

١- العمل الإيجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم؛ أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢- بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام – مهما كان نوعها – والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع أن يقول: "أن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب"[٢].

---

(١) المكتوبات، النورسي، المكتوب الثاني والعشرون، ص٣٤٦، ٣٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٢.

وقد اتبع الأستاذ النورسي طوال عمره الإيجابية في الحركة دائماً وكضرورة لازمة لهذه الحركة الإيجابية وقف تجاه كل حركة سلبية أياً كان نوعها.

فكما واجه في رسائل النور حركات الإلحاد، والكفر والشرك، والصلالة بالمباحث الإيمانية، كذلك ألف رسالة الإخلاص لمواجهة الرياء، وحب الظهور، وكسب إعجاب الآخرين، وكتب رسالة الأخوة ليسد قنوات آفات العداء، الشنعاء، والبغض والغيبة، بين المسلمين، وقد كان هذا المبحث من الأهمية بمكان حيث جعله سبباً في فساد حياة البشرية قاطبة، فنجده يقول في بداية مكتوبه الثاني والعشرون:

"إن ما يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض أصلاً ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى، فضلاً عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة"(١).

وقد بين لهذه الحقيقة من خلال وجوه ستة سنقف عند الوجه الأول فيها وقد ضرب فيه مثالاً رائعاً لما يقول:

"... فيامن امتلأ صدره غلاً وعداء لأخيه المؤمن، وياعديم المروءة! هب إنك في سفينة أو في دار ومعك تسعة أشخاص أبرياء ومجرم واحد، ورأيت من يحاول إغراق السفينة أو هدم الدار عليكم، فلا مراء أنك في هذه الحالة ستصرخ بأعلى صوتك معترضاً على ما يرتكبه من ظلم قبيح، غذ ليس هناك قانون يسوغ إغراق سفينة برمتها تضم مجرمين طالما فيها برئ واحد"، فكما أن هذا ظلم شنيع، وغدر فاضح، كذلك انطواءك على عداء وحقد مع المؤمن الذي هو بناء رباني وسفينة إلهية لمجرد صفة مجرمة فيه تستاء منها أو تتضرر مع أنه يتحلى بتسع صفات بريئة بل لعشرين منها كالإيمان والإسلام والجوار.... الخ، فهذا العداء والحقد يسوقك حتماً إلى الرغبة ضمناً في إغراق سفينة وجوده أو حرق بناء كيانه، وما هذا إلا ظلم شنيع وغدر فاضح"(٢).

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٠.

٣- تأمين الهدوء الاجتماعي:

لقد أعطت رسائل النور أهمية كبرى لصحة البنية الاجتماعية ولاتجاهها، عدت من مقاصدها تأمين الهدوء الاجتماعي والراحة العامة ولا تعير أي اهتمام أو التفات لحركات التدمير وللهدم والتمزيق بل ترفع شعار الحركة الإيجابية وترى فيها وظيفتها ومهمتها، ولا تسمح مطلقاً بالفاعليات السلبية، بل تسعى لتقوية أواصر المحبة والأخوة في بنية المجتمع، وتلح على ضرورة الاتحاد والامتزاج، وترد بشكل مطلق كل المشاعر والأفكار التي قد تذهب بروح الأخوة التي أمر بها ديننا الإسلامي، فكان رافضاً للشعور القبلي أو العشائري أو الفكرة القومية أو العنصرية أو الملية السلبية، قال بديع الزمان مخاطباً دعاة التفريق بين المسلمين والمطالبين بحقوق أقليات دون غيرها:

"إن كنتم حقاً تحبون هذه الأمة حباً جاداً خالصاً، وتشفقون عليها فعليكم أن تحملوا في قلوبكم غير تسع الإشفاق على غالبية هذه الأمة لا على قلة قليلة منها، إذ أن هدمة هؤلاء خدمة اجتماعية مؤقتة غافله عن الله، وهم ليسوا بحاجة إلى الرأفة والشفقة وعدم الرأفة بالغالبية العظمى منهم ليس من الحمية والغيرة في شئ"[١].

وقال أيضاً:

"لقد بذلت كل ما في وسعيي من جهد طوال حياتي للمحافظة على الأمن إذ يجب ألا تستعمل القوة في الداخل بل نحو الاعتداء الخارجي، وظيفتنا هي مد يد المساعدة للمحافظة على الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة، إن أكبر شرط من روط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل في الوظيفة الإلهية، فوظيفتنا نحن أداء الخدمة، أما النتيجة فتعود إلى الله سبحانه وتعالى ونحن ملكفون ومجبرون على أداء وظيفتنا"[٢].

وبهذا أسس الأستاذ للبعد عن كل عمل أو نشاط يؤدي إلى إثارة أهالي البلد بعضم ضد بعض، أو عمل يفضي إلى انحياز لجهة على حساب أخرى، والأكثر من ذلك كله هو الإصرار إلى الدفع والابتعاد عن كل ما يمس الأمن والاستقرار والهدوء، بهذا أوصى تلاميذه وطلابه.

---

(١) **المكتوبات، النورسي، ص٥٤٢ – ٥٤٤.**

(٢) **سيرة ذاتية، النورسي، ص٤٦٩.**

وللعمل الإيجابي أسباب حيوية ذلك أن الحياة الاجتماعية إن كدر ماؤها، فإن إعادة السكون والاستقرار إليها تحتاج إلى مدة طويلة من الزمن، وتتطلب همة كبيرة وجهوداً مكثفة، والبنية الاجتماعية إن اهتزت بعوامل الاستبداد أو الإرهاب والفوضى، فلا يمكن أداء الخدمة فيها بشكل مستمر وصحي ومؤثر.

ولكي يتم مقش الحقائق القرآنية في القلوب والعقول فإن الهدوء الاجتماعي شيء ضروري ولازم فإن تم تناول الأمور تحت سيل التهيج – استعمال القوة الجسدية – الانحياز وليس في جو (العقل – المنطق – موازنة الأدلة) زادت التناقضات واشتدت وارتفع الضغط الاجتماعي، وساد الاضطراب الشديد فيضيع الاستقرار والهدوء الداخلي وينخرط العقد الاجتماعي، وهو جو مثالي لشيوع الفوضى والاستبداد والإرهاب، وأساس دفع هذه الأوبئة العمل بحركة إيجابية.

وفي عبارة أخرى أساسية يقول:

"نحن مكلفون بالتحلي بالصبر والتجمل بالشكر ضمن عملنا لخدمة الإيمان التي تثمر الحفاظ على أمن البلاد".

فالعبارة تتضمن في مستهلها إرشاداً للقائمين بشئون الدولة، ويؤكد على درس مهم أنه لا يمكن تحقيق راحة المجتمع إلا من خلال حركة إيمانية إيجابية، فإن كل طالب نور يصبح بمثابة حارس لتأمين سلامة المجتمع وراحته[1].

٤- الجهاد الداخلي والخارجي:

لبديع الزمان درس في الجهاد الداخلي له وزن وحقيقة:

ويصد التعدي الخارجي بالقوة؛ لأن أموال الأعداء وابنائهم غنيمة، أما في الداخل فليس كذلك، بل هو عمل إيجابي معنوي بناء يعمر بالإخلاص ماهدم، فالجهاد الخارجي يختلف تماماً عن الجهاد الداخلي[2].

وعلى الرغم من تجرع صاحب هذا القول الحبس والتشريد والنفي والتسميم والمظالم الكثيرة لمدة ثمانية وعشرين سنة من عمره فقد سعى إلى محافظة أمن المجتمع وسلامته بقوله:

"الحفاظ على الأمن الداخلي لئلا يصيب تسعين بالمائة من الناس الضرر جراء ما يقول

(١) اللمعات، النورسي، اللمعة السادسة والعشرون، ص٤٠٠.

(٢) سيرة ذاتية، النورسي، ص٤٧٠.

به عشرة بالمائة من الزنادق الملحدين"[1].

ومن أسس العمل الإيجابي ومرتكزاته الآية الكريمة

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2].

فالعمل السلبي أي استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح الداخلي في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل وتخريب، وبياناً لذلك يقول الأستاذ:

"إن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة"[3].

وقد توصل الاستاذ النورسي إلى حقيقة مهمة جداً، وهي:

إن هناك كلمتين اثنين هما منشأ جميع ما آلت إليه البشرية في حياتهم الاجتماعية من ترد في الأخلاق وانحطاط في القيم، وهما منبع جميع الاضطرابات والقلاقل، وقد بيناهما وأثبتناهما في (الكلمة والعشرين) عند عقدنا الموازنة بين الحضارة الحديثة وأحكام القرآن الكريم والكلمتان هما:

- **الكلمة الأولى**: إن شبعت فلا على أن يموت غيري من الجوع.
- **الكلمة الثانية**: اكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا.

وإن الذي يديم هاتين الكلمتين ويغذيهما هو: جريان الربا، وعدم أداء الزكاة.

وإن الحل الوحيد والدواء الناجح لهذين المرضين الاجتماعيين هو تطبيق الزكاة في المجتمع وفرضهما فرضاً عاماً، وتحريم الربا كلياً؛ لأن أهمية الزكاة لا تنحصر في أشخاص وجماعات معينة فقط، بل أنها ركن مهم في بناء وسعادة الحياة البشرية ورفاهها جميعاً، بل هي عمود أصيل تتوحد أمامه الحياة الحقيقية للإنسانية؛ ذلك لأن في البشرية طبقتين: الخواص والعوام والزكاة تؤمن الرحمة والإحسان من الخواص تجاه العوام، وتضمين الاحترام والطاعة من العوام تجاه الخواص[4].

أيضاً ضمن مبادئ العمل الإيجابي التي أرساها وتحدث عنها الأستاذ النورسي، هو

---

(١) سيرة ذاتية، النورسي، ص٤٤٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٣) سيرة ذاتية، النورسي، ص٤٦٩.

(٤) المكتوبات، النورسي، المكتوب الثاني والعشرون، ص٣٥٥.

دستور التعارف والتعاون الذي تشير إليه الآية الكريمة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾[1].

وقد قسم هذا المبحث بسبع مسائل في غاية الأهمية، يذكر في المسألة الثانية منهم:

"يقسم الجيش إلى فيالق وإلى فرق وإلى ألوية وإلى أفواج وإلى سرايا وإلى فصائل وإلى حظائر، وذلك ليعرف كل جندي واجباته حسب تلك العلاقات المختلفة المتعددة، وليؤدي أفراد ذلك الجيش تحت دستور التعاون وظيفة حقيقية عامة لتصان حياتهم الاجتماعية من هجوم الأعداء، وإلا فليس هذا التقسيم والتمييز إلى تلك الأصناف، لجعل المنافسة بين فوجين أو إثارة الخصام بين سريتين أو وضع التضاد بين فرقتين.

وكذلك الأمر في المجتمع الإسلامي الشبيه بالجيش العظيم، فقد قُسم إلى قبائل وطوائف، مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة؛ إذ خالقهم واحد ورازقهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد ووطنهم واحد، وهكذا واحد واحد.. إلى الألوف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة؛ بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل—كما تعلنه الآية الكريمة — ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم"[2].

كما ناقش مسألة الفكر القومي ووسع القول فيها، حيث قال:

"لقد انتشر الفكر القومي وترسخ في هذا العصر.. ولكن القومية نفسها على قسمين:

قسم منها سلبي مشئوم، ومضر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعد أو من سواه، ويتصرف بحذر، وهنا يولد المخاصمة والنزاع، وهناك القومية الإيجابية وهي نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية.. هذا الفكر الإيجابي القومي، ينبغي أن يكون خادماً للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسوراً منيعاً حوله، لا أن يحل محل الإسلام ولا بديلاً عنه لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة وأنها تبقى خالدة في عالم البقاء وعالم البرزخ"[3].

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢) المكتوبات، النورسي، المكتوب الثاني والعشرون، ص٤١٣، ٤١٤.

(٣) المكتوبات، النورسي، المكتوب الثاني والعشرون، ص٤١٤، ٤١٥، ٤١٦.

الفصل الثالث

تطبيقات للعمل الإيجابي في التاريخ الإسلامي والسيرة

لقد أمست الإيجابية عملة نادرة، لكنها تاج على رؤوس أولئك الذين يربطون الأرض بالسماء ويصلون الخلق بالخالق، ويعرفون العباد برب العباد، ويبثون النور الإلهي المتمثل في الفطرة السليمة؛ لتعود الروح من جديد في كيان هذه الأمة، التي أصبحت صريعة الأهواء والشهوات والملذات، كالذي يتخبطه الشيطان من المس.

كما أن السلبية يستحيل أن تكون من خصال الصالحين، والبلادة لا يمكن أن تكون من صفات المصلين، بعد ما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[2].

وقال: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾[3].

وإن القرآن الكريم لملئ بالأمثلة الإيجابية، بل أن المتتبع للقرآن الكريم ليجد أن من أكثر الأمثلة ضرباً في القرآن هي الإيجابية، وهذه بعض النماذج التي سننتقيها ونعرض لها وأنها بمثابة غيض من فيض.

أولاً: مؤمن آل ياسين

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾[4].

إنها استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق المستقيمة؛ الصدق، والبساطة، والحرارة،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٣.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢١.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٨.

(٤) سيرة ذاتية، النورسي، ص٤٦٩.

واستقامة الإدراك، وتلبية الإيقاع القوي للحق المبين، فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه في مقالته لقومه، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان، تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتاً ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره، وظاهر أن الرجل لم يكن ذا جاه أو سلطان ولم يكن في عزوة من قومه أو عشيرته ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفق وتجئ به من أقصى المدينة إلى أقصاها[1].

ثانياً: مؤمن آل فرعون:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

انتداب الله – عز وجل – رجلاً من آل فرعون وقع الحق في قلبه، ولكنه كتم إيمانه، انتداب يدفع عن موسى، ويحتال لدفع القوم عنه، ويسلك في خطابه لفرعون وملئه مسالك بالتخويف والإقناع، إنها جولة ضخمة هذه التي جالها الرجل المؤمن مع المتأمرين من فرعون وملئه، وأن منطق الفطرة المؤمنة في حذر ومهارة وقوة كذلك، وقد سجل مؤمن آل فرعون كلمته الحق خالدة في ضمير الزمان[2].

ثالثاً: إيجابية هدهد

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾.

---

(١) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب.

(٢) المرجع السابق.

وهنا نحت نجد أنفسنا أمام هدهد عجيب، صاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعه في عرض النبأ، ويقظة إلى طبيعة موقفه، وتلميح وإيماء أريب، فهو يدرك أن هذه ملكة، وأن هؤلاء رعية، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله، ويدرك أن السجود لها يكون إلا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض، وأنه هو رب العرش العظيم، وما هكذا تدرك الهداهد، إنما هدهد خاص أوتى هذا الإدراك الخاص على سبيل الخارقة التي تخالف المألوف، ولكن الأعجب من ذلك المجهود الجبار الذي قام به الهدهد، ولكي ترى كم من المسافات قطع، وكم من الجهد بذل وضحى، لك أن تعرف أن مملكة سبأ تقع في جنوب الجزيرة باليمن فقطع الهدهد هذه المسافات الشاسعة والفيافي، وبلغ قائده بما رأى[1].

رابعاً: إيجابية النبي (ﷺ)

قال بن عمر: "ما رأيت أشجع، ولا أنجد، ولا أجود، ولا أرضى من رسول الله (ﷺ)".

وقال على ﷺ: "إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق، اتقينا رسول الله (ﷺ) فما يكون أحد قرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي (ﷺ) وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً".

وقال أنس ﷺ: "كان عليه الصلاة والسلام أشجع الناس، وأحسن الناس، وأجود الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم – عليه الصلاة والسلام – راجعاً قد سبقهم إلى الصوت، واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحه عرى والسيف في عنقه وهو يقول: لن تراعوا[2]".

وعندما نعيش مع سنة رسول الله (ﷺ) نجد الحث على الإيجابية والإرشاد إليها ومن ذلك قول النبي (ﷺ): "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، حتى يأتي أمر الله الله وهم على ذلك"[3].

وقوله (ﷺ): "بلغوا عني ولو آية"[4].

بل في أمور الدنيا يأتيه سائل يطلب عونا فيرشده النبي (ﷺ) إلى إيجابية العمل، فيبيع

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

ما عنده من متاع بدرهمين، ويشتري له أدوات جمع الحطب بدرهم، وطلب منه أن يعطي أهله الدرهم والآخر فيتحطب، فهو ضير له من سؤال الآخرين[1].

وهكذا، ومن خلال تربية المصطفى (ﷺ) الصحابة رضوان الله عليهم صار كل صحابي أمة لوحدة وما من صحابي إلا وله سمه معينة، وموقف خاص، وإبداع متميز، فمنهم من أشار واقترح، ومنهم من أوضح، ومنهم من أضاف ما استدرك فيما يخدم الدعوة وحركة الإيمان، فسلمان الفارسي يستفيد من خلفيته الحضارية ويقترح حفر الخندق، وحباب بن المنذر يقترح الوقوف في بدر على المساء، وآخر ينصب المجانيق في غزوة الطائف، وأبو بصير يخطط لحرب عصابات بعيدا عن بنود صلح الحديبية، وعمر بن الخطاب يقرب سيفه في نفس الهدنة من أبي جندل طمعان في أن يستله ويقتل اباه دون مؤاخذه على نقض المعاهدة، ويستلم خالد بن الوليد الراية يوم مؤته بلا تأمير، رضى الله عنهم جميعاً.

والمتتبع لمعارك القادسية واليرموك والجسر والبويب يجد لكل صحابي فيها موقفاً مشهوداً، وللصحابة والتابعين بطولات وجولات، نستهل منها فقط قصة ذلك المجهول في القادسية صاحب الإبداع عند ملاقاة الفرس حيث نفرت خيل المسلمين من الفيلة فعمد رجل منهم فصنع فيلا من طين، وأنس به فرسه حتى ألفة، فلما أصبح لم ينفر فرسه من الفيل، فحمل على الفيل الذي كان يقدمها، فقيل له إنه قاتلك، قال لا ضير من قتل، ويفتح للمسلمين، ولو ترك الجانب العسكري لرأينا في الجانب الاقتصادي ذلك الصحابي الذي تؤرقه كثرة أبناء المهاجرين والأنصار، فينقل زراعة القمح للحجاز، وعبدالرحمن بن عوف يختبر السوق، فيصفق لنفسه حتى لا يكون عيالا على غيره، وكل ذلك كان مظهرا من مظاهر العمل الإيجابي إيماناً منهم بضرورة ذلك العمل الإيجابي.

وكذلك في إطار الفكر والتربية يسارع عبدالله بن عمرو لتدوين الحديث، وزيد بن ثابت لجمع القرآن، إضافة إلى مسارعته لتعلم العبرانية والسيريانية، إذ قال عن نفسه:

"قال لي رسول الله: أتحسن السيريانية؟ قلت: لا، قال: فتعلمها، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً".

وابن عباس يجد بغيته الدعوية في الخروج للأسواق والسلام على الناس، وصحابيه تطالب الرسول (ﷺ) بحق النساء فتجمعهن للسماع، وتنقل اسماء بنت عميس بعض تجارب

---

(١) رواه أبوداوود وابن ماجه والترمذي.

أهل الحبشة في كفن المرأة، وغير ذلك وفي الإطار الاجتماعي، يسابق بعضهم بعضاً في التزاور والضيافة ويتحاور أبو الدرداء مع سلمان ليبت الرسول (ﷺ) في أمر المناقشة حول حقوق العيال وقيام الليل.

وإذا وقفنا على بعض النماذج من السيرة فها هي أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها منذ اللحظة الأولى تبادر بمشاركة الرسول (ﷺ) دعوته، فتؤمن به حسن كفر الناس به، وتعطيه حين حرمه الناس، وتواسيه حين تخلى عنه الناس عندما قص عليها ما رآه في غار حراء، تعيش بجوارحها كلها معه، تطمئنه وتهدئ من روعه، وتبشره وتسعده: والله لن يخذلك الله ابدا، إنك لتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر.

وهذا ابوبكر ﷺ يصل إلى قمة الإيجابية والمبادرة عندما يأتي بماله كله ويضعه في حجر رسول الله (ﷺ) وعندما يسأله: ماذا تركت لأولادك؟ يقول: تركت لهم الله ورسوله، وفي يوم الفرقان يوم التقى الجمعان تجلت الإيجابية في أعظم أشكالها فهذا سعد بن معاذ يقول لقائده ونبيه (ﷺ):

"قد أمنا بك فصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطينا على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك؟ ما تخلف منا رجل واحد، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله".

بعد أن خرجوا من أجل العير، جلسوا مع رسول الله (ﷺ) ووعظهم ونصحهم: "والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة، قالوا: خذ منا أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت، إن الذي تأخذه أحب إلينا من الذي تتركه"[1].

إنها الإيجابية في أبهى صورها والعزة في أشمل معانيها، إن عمر ﷺ لقب بالفاروق لأنه بعد إسلامه قال: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متا وإن حيينا؟! قال: بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، قال ففيم الاختفاء؟! والذي بعثك بالحق لنخرجن، وخرج الرسول في صفين عمر في أحدهم وحمزة في الآخر ولهم ككديد الطحين، ونظرت

(١) انظر سيرة ابن هشام.

قريش إلى عمر وحمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم من قبل ذلك قط، ومن هنا سماه رسول الله (ﷺ) الفاروق، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

وعلى هذا الدرب وهذا النهج التربوي القويم ساد من بعد جيل الصحابة جيل التابعين ومن بعدهم المصلحين، الذي حمل رايتهم الأستاذ النورسي، فمن أمثلة العمل الإيجابي البنَّاء وتطبيقاً لقاعدة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ اتصف الأستاذ النورسي بصفة التسامح مع أشد الناس عداءً له وإساءةً له، ومن ذلك أن الأستاذ –رحمه الله – لم يكن يدعو على من يحكمونه؛ رحمةً بأهاليهم، وقد همَّ أن يدعي على مدَّعٍ عام ظلمه كثيراً ولما وقعت عينه على طفلة صغيرة وعرف أنها ابنة ذلك المدعي العام كَفَّ عن الدعاء عليه، بل إنه سامح الحزب الذي ناصبه العداء، حزب الشعب الجمهوري؛ وذلك لأنه نظر إلى الوجه الآخر من القضية، حيث أن عداء ذلك الحزب أسهم من حيث لم يحتسب ذلك الحزب في نشر رسائل النور والتعريف بها لأعلى المستوى الشعب بل على أعلى المستويات، حيث كانت تُعرَض على كبار المسئولين، ومنهم مَنْ تأثر بها، يقول الاستاذ مبيناً ماسبق من تسامحه داعياً طلاب النور أن يمضوا على منهجه: "على إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدوها من قبيل أهون الشَّرَّين، ليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً؛ لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا؛ ولأن العمل السلبي في الداخل لا يغتفر"....

"لقد سامحت عن جميع حقوقي وعفوت عن حزب من الأحزاب السياسية رغم مقاساتي منه ألوفاً من المضايقات والسجون منذ ثلاثين سنة، فقد أصبحت جميع تلك المشقات والمضايقات وسيلة لخلاص خمسة وتسعين بالمائة من المساكين في أن يسقطوا في مضايقات ومظالم واعتراضات"[2].

---

(١) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٢) النورسي، سيرة ذاتية، ص ص٤٧٣-٤٧٤.

الخـاتـمة

في نهاية حديثنا عن العمل الإيجابي في دعوة النور، أحب أن أذكر بعض ثمرات العمل الإيجابي البناء في تركيا:

لقد كان من ثمرات هذا المنهج الدعوي الذي اختطه الأستاذ النورسي واستمده من نور القرآن الكريم أن جنب تركيا الوقوع في بحار من الدماء، وجنبها المنهج الثوري الدموي، مع أن ما أصاب تركيا على المستوى الرسمي نوع من الكفى البواح الي شن حرباً عنيفة على الإسلام والإيمان، وقد رأى الأستاذ في أخريات حياته بداية انحسار موجات الكفر عن تركيا بتراجع شعبية حزب الشعب الجمهوري الكمالي، وتقدمن الحزب الديمقراطي الذي كان أهون الشرين كما وصفه الأستاذ النورسي[1].

فقد كان النورسي دائم التشديد والتحذير في رسائله على عدم الوقوع في الأعمال السلبية، ومثال على ذلك قوله:

أيها الأخ التركي:

احذر.. وانتبه..! أنت بالذات قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجاً لا يمكن فصلها عن الإسلام، ومتى ما حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذاً أو انتهى أمرك.. ألا ترى أن جميع مفاخرك في الماضي قد سجلت في سجل الإسلام، وأن تلك المفاخر لا يمكن أن تمحي من الوجود قطعاً فلا تمعها أنت من قلبك بالاستماع إلى الشبهات التي تثيرها شياطين الإنس[2].

وهكذا أرسى بديع الزمان النورسي مسلكه على أسس صلبة، فالطريق الذي اختطه طريق حكيم وملائم للفطرة فقد بدأ بإلزام شئ للإنسان، فدعا البشر إلى "التوحيد"، وبعد أن جعل منتسبي طريقه يمدون من مراحل انتقاله في الفكر والقلب والروح، جعلهم يتجولون في الآفاق الرحبة للفكر والتأمل فتشكلت منهم جماعة حصينة وكاملة، واستخدم الحكمة والكلمة اللينة واللسان العذب في تبليغ دعوته، ولم يلتفت أو يهتم أبداً بالأسلوب الخشن الحاد وبالأسلوب الهدام المخرب، واستمد في دعوته بصبر وجلد وتحمل كل الآلام دون

---

(١) سيرة ذاتية، النورسي، ص٤٧٣.

(٢) المكتوبات، النورسي، المكتوب السادس والعشرين، ص٤١٧.

خوف ودون استسلام ودون التخلي عن أسلوبه الإيجابي في التصرف.

ونجح بديع الزمان النورسي في تأسيس جيش فدائي متماسك نقي وحميمي، وأنشأ شخصية معنوية قوية تشع فوراً تجاه الشخصية المعنوية للكفر، وقد تطلع للمستقبل بتفاؤل ولم يقع في اليأس.

عاش مثلما تحدث، وتحدث مثلما عاش، فتربع على عرش القلوب كحقيقة تعيش في الواقع، ففي سبيله وطريقته وطرازه وأسلوبه اتخذ الإنسان أساساً ورسم سبل الوصول إليه واهتم كل الاهتمام بإنشاء هذا الإنسان وبكيفية صعوده مدارج الكمال.

وقد أصبح سعيد النورسي المنقذ المنتظر في عصره بإخلاصه التام وتفكيره العميق، وتضحيته اللامعدودة وبتواضعه الكبير وبروحه المتألقة وشفقته الواسعة وشخصيته الكبيرة الخالصة من الأنانية وبخدماته الجليلة وبعبوديته الخالصة الخالية من حب المظاهر وبالتزامه المتين، وبمفهومه عن طراز الخدمة – الذي يبدأ من المركز ويتوجه نحو المحيط – فقد بدأ بشخصه وخاطب نفسهن ولم تقتصر طاقة خدماته في مكان معين أو بيئة معينة، بل داوم على أداء خدماته المخلصة في كل مكان وفي كل زمان وفي جميع الأحوال.

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح الإمام البخارى.

٣- صحيح الإمام مسلم.

٤- السنن والمسنانيد.

٥- الشيخ عبد الخالق حسن الشريف، الشباب في مرآة الإسلام.

٦- في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب.

٧- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري.

٨- بديع الزمان النورسي: مجموعة رسائل النور (الكلمات – اللمعات – المكتوبات – الملاحق – صيقل الإسلام – سيرة ذاتية)/ترجمة إحسان قاسم الصالحى- دار سوزلر للنشر – القاهرة – ٢٠٠٨م.